اتساع مدلول الصيغة في العربية

أ.م.د. خولة تقي الدين الهلالي
كلية الآداب – جامعة بغداد

أحمد الله على أن جعلني ممن يخدم لغة كتابه الكريم ، وبعد إنّ لدراسة الدلالة أثراً واضحاً في فهم اللغة ، وقد حظيت الدراسات الدلالية المتنوعة باهتمام كبير ، وتتلخص هذه الدلالات بما يأتي :

الدلالة الصوتية ، الدلالة النحوية ، الدلالة المعجمية ، الدلالة الصرفية ، ولقد عنيت الدلالة الصرفية بمعاني الصيغ في العربية عناية بالغة فقد تطرق الباحثون ابتداءً من سيبويه إلى إيضاح العلاقة بين الصيغة والمدلول ، ولقد لفت انتباهي اتجاه العربية إلى السعة في مدلول الصيغة وتدرج تلك السعة فتبعت هذه الصيغ ودلالاتها ، فتهيأ لي من ذلك تقسيم هذه الصيغ بالنظر إلى ما توحيه من سعة في المدلول إلى محاور .

المحور الأول : مِفعل

إن لصيغة مفعل بكسر الميم أو فتحها دلالات واسعة متعددة ابتداءً من المصدر الميمي ، ليس بخاف ما للمصدر من إطلاق المعنى دون قيد ، وقد جاء عن العرب[١] إقامتهم المصدر مقام الصفة حين يريدون التوسع في الدلالة والمبالغة فيه فيقولون هو رجل عَدلٌ كما يقولون[٢] فلان مَرَبُّ الناس أي مجمع ، والرجل العدل تعنى أن الرجل هذا هو العدالة نفسها وفي القرآن الكريم استعملت المصادر صفات لتوسيع المعنى وإظهار شموليته ، كقوله تعالى ((**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**)) **يوسف**/١٨ أي مكذوب قال البيضاوي : ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة ، وقال تعالى ((**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**)) الملك/ ٣٠ أي غائراً وكثير[٣] غير ذلك ، وقياساً عليه فإن المصدر الميمي وهو يقال المصدر ذو دلالة واسعة شاملة . أما مِفعل اسم الآلة فهو بلا شك يؤيد مذهبنا فإذا قلت مِبْرد فقد خصصت هذه الآلة بعمل ما والاختصاص يعني الدقة والدقة لا تكون إلا بكثرة الممارسة والسعة في دلالة

صيغة اسم الآلة يجعلنا نعدها من صيغ المبالغة القياسية إذ قد جاءت بهذه الدلالة بشكل ملحوظ في قولهم[٤] : رجلٌ مِسَبّ ومِلزّ ورمحٌ مِزج وفرش مسح يريدون بها المبالغة في الوصف ، وقد يوصف الرجل بأنه مِسْعر حرب ، وإذا أشبعتَ فتحة العين من هذه الصيغة تتولد لديك صيغة مِفْعال والذي يؤكد ذلك مجيء كلمات بالألف وبلا ألف كقولهم[٥] مفْتح ومِفتاح ومضرب ومضراب ومقرض ومقراض ... ومعلوم أن صيغة مفعال من صيغ المبالغة المقيسة كما يقول أبن مالك :

فقال أو مِفعال أو فعول في كثرة عن واحد بديلُ

ويلاحظ هنا أن العلاقة بين صيغ الآلة وبين صيغ المبالغة وثيقة جداً وهذا يؤيد ما نذهب إليه من اتساع الدلالة في (مفعل) وتجيء مفعال دالة[٦] على المكان والزمان دون قياس كما في ميعاد وميلاد وميقات وإذا زيدت التاء على هذه الصيغة يزداد المعنى مبالغة إذ يقولون[٧] : رجل مِجْذامة ومِطْرابة أي كثير القطع وكثير الطرب ، وعندما تميل بهذه الألف نحو الياء تتكون لديك صيغة أخرى من صيغ المبالغة وهي مفعيل كقولهم امرأة منطيق ورجل منطيق أي يتصفان بالفصاحة وحسن المنطق مع المبالغة في ذلك ، ونلاحظ في هذا الموضع استواء المذكر بالمؤنث مما يعني شمول الدلالة وعدم اقتصارها على جنس واحد . ومما يدخل ضمن دائرة مفعل اسما الزمان والمكان وهما يدلان على التخصص بفعل كثرة الممارسة لمعنى من المعاني في الزمان والمكان إذ نقول (المكتب) تردي مكان الكتابة وكذا (الملعب) كما تقول المشْرق والمغرب تريد بهما زمان الشروق والغروب أو مكانيهما وإذا نقلت بعض هذه الكلمات المصوغة للزمان والمكان إلى المجاز تزداد الدلالة كقولنا : (الخليل بن أحمد مدرسةٌ في اللغة) ومن الواضح أن كلمة (مدرسة) مشحونة بالدلالة لمادة درس والسبب في ذلك هو الصيغة أولاً ثم المجاز ثانياً ، وقديماً قيل[٨] : (الولدُ مَجْبَنة ومَبْخَلة) أي هو سبب البخل والجبن لأبيه خوفاً عليه كما قيل : (الحربُ مأْيمة) أي يقتل الرجل فيها فتتئيم امرأته وإذا قيل هذه مبطخة ومأسدة ومذْأبة فقد أريد بها دون شك أمكنة يكثر فيها البطيخ والأسود والذئاب .

وبالنظر إلى ما تقدم تكاد نجزم بأن مفعل بكسر الميم وفتحها تشتمل على أوسع محور دلالي قياسي للمادة ، بضمنها تطور صوت الفتحة في العين إلى الألف كمِفعال أو إمالة هذه الألف نحو الياء . أما بضم الميم منها فالدلالة محدودة ضيقة إذ تدخل في بابي اسم الفاعل والمفعول ، ولقد أشار الفارابي إلى شيء من هذا حينما وصل في تسلسل صيغة إلى مُفْعل فقال : ((لم نجد على هذا المثال شيئاً إلا بالهاء))[٩] ومعلوم أن الهاء أو التاء من حروف المبالغة إذا ألحقت بأواخر بعض الصيغ .

المحور الثاني :

اتضح لي من خلال تتبعي للصيغ أن الصيغة المتكونة من صامت + حركة قصيرة + صامت + حركة طويلة هي الألف والواو أو الياء + صامت أو أكثر من ذلك تشتمل على دلالة واسعة في الأغلب الأعم وتتمثل هذه في ما يأتي :

فَعال و فُعول و فَعيل و فُعالل وشبه فَعالل و فعالى و فعالي و فعالاء .

ولكي نفصل القول ونوضح هذه الفكرة نتناول كل صيغةٍ على حدة .

١ - فِعال بكسر الفاء ترد صيغة دالة على الجمع كعِظام وصغار والجمع ذو ستة دلالية ولا جدال في ذلك وترد اسماً دالاً على الآلة كالحزام على غير قياسي وإن رأي بعض الباحثين[١٠] أن قياسية هذه الصيغة واضحة في مدى استعمالها في نصوص العربية الفصيحة غير أن علماء اللغة لم يلتفتوا إلى ذلك وذكر أن هذه الصيغة أقدم من مِفعال ومِفْعلة وأنها أحرى بالقياس. وتجيء فِعال دالة على المصدر بكثرة كالقيام والكفاح ودلالة المصدر شعره بالتوسع كما ذكرنا وغالباً ما نجد هذه الصيغة دالة على ما ذكرنا إلا القليل من الاسماء كالجِدار وهذه الأسماء نسبة للمصادر والجموع وأسماء الآلة قليلة كما يلاحظ أن المصدر والجمع من هذه الصيغة مقيسان في حين يظل الاسم الضيف الدلالة غير قياسي وغالباً ما يدل على الآلة .

٢ - فَعَال : تجيء هذه الصيغة دالة على ثبوت الصفة كالجَبَان والحَصان وقد ترد الفعال بدلاً من الفَصل على وجه الإمالة كقولهم[*] ((رجل كهام وكهيم

---

[*] الكهام الذي لا عناء عنده .

وشحاح وشحيح وصحاح وصحيح وعقام وعقيم))[١١] وكلتا الصيغتين من باب الصفة المشبهة باسم الفاعل التي تدل على الثبوت غالباً . وتجيء فعال دالة على المصدرية كالدمار والذهاب ، ولقد ذكرنا أن المصدرية تعني إطلاق المعنى دون قيد وإذا زيدت التاء عليه دلت على المبالغة كالشراسة والصرامة قال المبرد[١٢] : العزازة : العزّ والمصادر تقع على الفعالة للمبالغة . أما الفُعال بضم الفاء فهو من صيغ الوصف الدالة على المبالغة كما يرى كثير من علماء اللغة إذ يجعلون طوال أبلغ في الوصف من طويل وترد دالة على ثبوت الصفة كالشجاع وترد دالة على المصدرية ولاسيما ما كان منه دالاً على الصوت أو الداء كالصراخ والسُعال . ويلاحظ التقارب بين صيغتين فعال بالضم وفِعال بالكسر حتى ترد بعض الكلمات باللغتين كقولهم ((صار البيض فَلاقاً فُلاقاً أي أفلاقاً))[١٣] .

٣ - فعول : تجيء بضم الفاء في دلالتين هما المصدرية كالوقوف والجلوس والجمع كالقلوب والوجوه ، وتجيء بفتح الفاء دالة على المبالغة على القياس كصدوق وكذوب ولقد لاحظ بعض الباحثين[١٤] أن فعولاً كثيرة الشيوع في حين أنها أقل قياسية من غيرها من صيغ المبالغة ، وتجيء نادراً[١٥] بدلالة المصدرية كالقبول والوضوء . ولو أشبعت حركة الفاء لصرت إلى فاعول كفاروق وناطور ويبدو أن هذه الصيغة صارت أقرب إلى الأسمية منها إلى الوصفية وأختصت[١٦] ببعض اسماء الآلة كالشلغول والناعور والناقوس والماعون والساطور ، وقد تجيء وصفاً دالاً على الثبوت كالفاروق وفي كل الأحوال تلتزم هذه الصيغة مع اختلاف حركة الفاء باتساع المدلول .

٤ - فعيل : تشتمل هذه الصيغة على عدة دلالات تصل إلى المبالغة في كثير من الحالات ، إذ تجيء مصدراً يغلب أن يدل على الصوت أو السفر كالرحيل والزئير وتجيء دالة على الثبوت في الصفة كالكريم والبخيل وتدل على المبالغة كالقدير والسميع والعليم الا ترى أنك تقول لزميلك أنت قادر على فعل هذا حينما تركز على ما هو قادر عليه وليس على

القدرة ، وتقول له أنت رجل قدير حينما تريد وصفه بالقدرة الفائقة المطلقة دون تحديد لميدان ما . وتجيء فعيل جمعاً نادراً كالكليب جمع كلب والمعيز جمع ماعز وتجيء بمعنى مفعول فتخرج حينئذ عما نرمي إليه كقتيل وجريح ويرى بعضهم[١٧] أنه فيه معنى المبالغة ، وكثيراً ما تتداخل[١٨] صيغتا فعال وفَعيل وكذا فعال وفعيل كما ذكرنا ومثال ذلك عُجاب وعجيب وعُراض وعريض ويرى أبن خالويه[١٩] أن كل فعيل جائز فيه ثلاث لغات فعيل وفُعّال وفُعال فيقال رجلٌ ظريف وظُرّاف وظُراف ولا تعلم مصداقية هذا الرأي غير أنه مشعر بتقارب تلك الصيغ لتقارب مدلولاتها .

٥ - فعالِل : المعروف أن هذه الصيغة من صيغ جموع التكسير الدالة على الكثرة ويكون مفردها رباعياً فما فوق كجعافر وبراثن ، ولاشك أنه داخل ضمن سعة الدلالة .

٦ - شبه فعالِل وتشمل أفاعل ، ومفاعِل وفياعل وفواعل وكلها جموع في منتهى السعة من الدلالة .

٧ - فُعالِل بضم الفاء ويرد صفته ذات دلالية وافية (كالجُرامز والملاحل)[٢٠] وكأنها مستعارة من صيغ الجموع لشمول الدلالة .

٨ - فعاليّ : وهي من جموع التكسير كذلك كالنجاتي .

٩ - فعالى من جموع التكسير كذلك كالعطاشى واليتامى وأمثلة هذه الصيغ كثيرة وكلها تدخل في الهدف الذي نرمي إليه .

١٠ - فُعالى وترد جمعاص كسُكارى كما ترد دالة على جنس البنات كالخزامى أو وصفاً لنوع من الرياح كالنُعامى وترد للمفرد كجُمادى وقصارى حينما يقال قصارى ذاك أي غايته ونهايته ، وكلها مشعرة بسعة الدلالة.

١١ - فعالاء : وتجيء صفة ثابتة في الفرد كالعياياء وهي بنية ثقيلة يراد بها المبالغة إذ لا نجد لفظاً في بابها محدود الدلالة ضئيلها .

المحور الثالث :

ويشتمل هذا المحول على تضعيف أحد حروف الصيغة عيناً كان أو لاماً وصيغها كثيرة .

١ - فعّال وهي أم لباب المبالغة وهي قياسية وكل قياسي يصعب إحصاء أمثلته.

٢ - فُعُّول كالقدوس والسُّبوح وهما من صفات الخالق ويراد بهما تعظيم الدلالة بلا شك .

٣ - فعّول بالفتح وهي أخت لسابقتها لذا نجد أن قدوس نروس بفتح الفاء فكأنها لغة وتجيء اسماً للآلة[٢١] كسَفّود وتنُور مما يدل على سعة دلالتها كما تجيء دالة على أجناس من النبات والحيوان كالحرّوب والشبّوط والبلّوط .

٤ - فِعّيل : وهي كذلك من صيغ المبالغة غير المقيسة قديماً وإن عدها مجمع اللغة في القاهرة من الصيغ المقيسة وأمثلتها سكّير ، وغرّيد .

٥ - فُعّل وفُعّال : هاتان من صيغ جموع التكسير تكونت الثانية بإشباع فتحة العين في الأولى ويردان وصفين لمفردات يراد المبالغة في وصفيتها كقولهم كُبّار للكبير جداً ، ومثلها الكُتّاب وهو مكان للدراسة وقد تدل على الآلة كالخُطّاف وترد فُعّل دالة على جنس من النبات كالحُلّب وهو نبات تأكله الظباء ، ومن ذلك قولهم : دهرٌ قُلّب وبرقٌ خُلّب .

وليس لزاماً إحصاء ما جاء من الصيغ بالتضعيف إذ أن الأغلب الأعم من المضعف دال على المبالغة .

المحور الرابع :

زيادة الألف والنون في الأسماء يشكل صيغاً جلُها ذو دلالة واسعة ، وترد هذه الزيادة على الاسم الثلاثي في مجموعة من المصادر بفتح الفاء والعين كالغليان والدوران ولا تتحدد دلالتها إلا إذا أكتسب الأسمية كغَطفان والسرطان . ولفعلان بصرف النظر عن حركة فائها أو عينها دلالات متعددة كلها شامل متسع عدا الأعلام . ومن هذه الدلالات التعبير عن الغريزة في الإنسان كالولهان والفرحان والعطشان ... ألخ كما تجيء دالة على الجمع كغِزْلان وبُطنان وقد ذكرنا أنها تدل على المصدرية كالجريان والخفقان ويلاحظ هنا الفرق في الدلالة بين مصدرين من جذر ثلاثي واحد وهما الجرْيُ والجريان والخَفْق والخفقان فإن

المصدرية مع زيادة الألف والنون يمنحان الصيغة دلالة واسعة ، ولقد فطن القدامى إلى ذلك فذكر بعضُهم[٢٢] أنها أشد مبالغة من فَعيل دونما توضيح أو دليل وأرى أن وجه التمييز بين الصيغ يتضح في تعددها من جذر واحد كأن تفاضل بين رحيم وراحم ورحمان . ولقد جاء عن السهيلي[٢٣] ما معناه أن اللاحقة (آن) هي أداة المبالغة في صيغة فعلان لأنها تعني مضاعفة المعنى كما في المثنى وتجيء فعلان بكسر الفاء وضمها مصدراً كالهيجران والسُلوان ، ومما تقدم يتضح أن هذه الصيغة دالة على المصدر والصفة الثابتة والمعاناة والجمع والتثنية كذلك غير أن معظمها سماعي ويلاحظ أنّ صيغها تتداخل فمكسور الفاء قد يجيء مفتوحها ومن أمثلة[٢٤] ذلك العُبدان بالضم والكسر والذيفان بالكسر والفتح .

المحور الخامس :

ويشتمل على الصيغ الملحقة بالألف المزيدة مقصورة كانت أم ممدودة ولا تعدو المقصورة أن تكون واحدة مما يأتي :

فُعلى مثلثة الفاء وفَعلى بفتحتين فأما فَعْلى بفتح مسكون فترد مصدراً كالسلْوى وجمعاً كقتلى وجرْمى وصفة ثابتة كسلْمى مؤنث سلمان وكل هذه الدلالات تدخل ضمن ما ذكرنا من السعة . أما فُعلى بالضم فتجيء مؤنثا لأفعل التفضيل كسُعدى وفُضلى ومصدراً كالرُجعى وهو قليل وتجيء فِعلى مصدراً كالذكرى ، أما فعلى بفتحات فهي من الصيغ الثقيلة النادرة ومن أمثلتها الحيدى والحجزى وهما مصدران . أما الممدود فهو كما يرى علماء الصرف ناتج عن مد الألف المقصورة وقد كان أبن جني يرى أن مد حروف المد موصل إلى الهمز ، ومن هذه الصيغ :

فعْلاء وترد صفة ثابتة كحمراء وحسناء ، وفُعلاء وترد جمعاً لمفردات أهمها ما كان على فَعيل لحكيم وحكماء وقد تجيء دالة على المفرد باستعمال محدود كالنُفساء والصُعداء والبُرجاء على أن استعمالها جميعاً أشيع وأقيس .

هذه هي المحاور الخمسة وهي تشمل جُلّ البنى الصرفية وإن اقتصرت في حديثي عنها على قرابة أربعين بنية ، وأعلم يقيناً أن بُنى آخر تدخل ضمن ما ذكرته وإن لم أورده بل أكتفيت بالإشارة إليه اختصاراً وإيجازاً .

ولله الفضل من قبل ومن بعد .

الهوامش والمصادر

١ - فقه اللغة ، الثعالبي ، ص٤٩٣ .

٢ - ديوان الأدب ، الفارابي ، ٤٩/٣ ، القاهرة ١٩٧٥ .

٣ - أمالي الشجري ، ص٦٩ ، و٧٠ و٧١ طبعة قديمة .

٤ - ديوان الأدب ٥٢/٣ - ٥٤ القاهرة ١٩٧٥ .

٥ - أدب الكاتب ، أبن قتيبة ٤٤٩-٤٥٠ ، القاهرة ١٩٦٣ .

٦ - ديوان الآداب ٥٢/٣-٥٤ .

٧ - ليس في كلام العرب ، أبن خالويه ص٥٧ . القاهرة ١٩٧٥ .

٨ - نفسه ص٤٣ .

٩ - ديوان الأدب ٥٢/٣ .

١٠ - د. مصطفى جواد في كتابه المباحث اللغوية في العراق ص١٩-٢١ . القاهرة ١٩٥٥ .

١١ - إصلاح المنطق ، أبن السكيت ١٠٧ ، القاهرة ١٩٧٠ .

١٢ - الكامل في الأدب ١١٤/١ .

١٣ - ديوان الآداب ٤٤٥/١ .

١٤ - مجلة مجمع اللغة العربية ج١٨ ص٨٤ .

١٥ - الكتاب ٤٢/٤ ، دار القلم ١٩٦٦ .

١٦ - ديوان الأدب ٣٧٢/١ .

١٧ - شرح شذور الذهب / أبن هشام ، ص١٠٢ ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٨ - الزاهر ، أبن الانباري تحقيق د. حاتم الضامن ٢٨٨/١ ، بغداد ١٩٧٩ .

١٩ - ليس في كلام العرب ص ٤٦ .

٢٠ - الجرامز المجتمع على بعضه المنقبض ، الملاحل العظيم .

٢١ - ديوان الأدب ٣٣٢/١ .

٢٢ - أشتقاق اسماء الله / الزجاجي ص٥٥ والصاحبي / أبن فارس ص٥٤ .

٢٣ - الكشاف ، الزمخشري ٣٤/١ .

٢٤ - أنظر ديوان الأدب ١٧/٢ و ١٩ و ٣٨٤/٣ و ٣٨٧ .